

عرض أرسطو لذلك في كلامه على الفرق بين الشعر والتاريخ ، من حيث كانت مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلا ، بل رواية ما يمكن أن يقع ؛ والأشياء ممكنة إما بحسب الاحتمال أو بحسب الضرورة ، ذلك أن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعراً ، والآخر يرويها نثراً ، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلا ، بينما الآخر يروي الأحداث التي يمكن أن تقع ، ولهذا كان الشعر أوفر حظاً من الفلسفة ، وأسمى مقاماً من التاريخ ، لأن الشعر بالأحرى يروي الكلي ، بينما التاريخ يروي الجزئي ، وأعنى بالكلي أن هذا الرجل أو ذاك سيفعل هذه الأشياء أو تلك على وجه الاحتمال ، أو على وجه الضرورة ، وإلى هذا التصوير يرمى الشعر ، وإن كان يعزو أسماء إلى الأشخاص (١) .

فالتمثيل اللغوي بالمحاكاة كما يؤخذ من نظرية أرسطو أعمق مما قد يتبادر إلى الذهن ، لأنه عمل من أعمال الخلق لا يقتصر على تقليد الطبيعة ، فالمحاكاة لا تقتضي إخلاصاً لحقيقة بذاتها إذ تقوم في معناها العام على صنع صورة تخيلية للعالم ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه الصورة تحاكي شيئاً حقيقياً بعينه أو تحاكي العالم في جزئياته ، وليس المعوّل في صلاحها على مطابقتها لخصائص العالم الحقيقي ، وإنما صلاحها من حيث هي صورة ، معناها وعلّة وجودها في ذاتها ، فلا يدخل في المحاكاة إمكان تحققها أو عدمه في التاريخ ؛ كل ما هنالك أن المحاكاة الشعرية ، ككل محاكاة ، ينبغي أن تكون وافية لفكرة العالم على نحو ما عبر عنه أرسطو من أن الشعر ينبغي أن يكون وفياتاً

(١) فن الشعر لأرسطو - ترجمة عبد الرحمن بدوي ٢٦ .